المقدمة

تحليل الخطاب منظومة معرفية متداخلة ومتكاملة من المعارف والنظريات والإجراءات والوسائل والأهداف، تتوسل الخطاب موضوعا لها، فتبحث في تشكله، وكيفية ترابط أنساقه الدالة، وتفاعلها لتحقيق بنية متسقة داخليا، ومنسجمة مع السياق الاجتماعي، لتعكس في تعاضدها رؤية منشئ الخطاب للعالم، وتشي في بعض جوانبها بتصورات جمعية وفردية.

إن بنية الخطاب بوصفها الموضوع المركزي لتحليل الخطاب ليست مجرد متوالية قولية، أنجزها المخاطِب في الزمان والمكان والظروف المعينة، بل هي خطة قولية، تستهدف رؤية المخاطَب، ومواقفه المختلفة، تصويبا أو تأكيدا أو تغييرا، مما يجعل من البنية المنجزة فعلا قصديا ذا أبعاد نفسية واجتماعية متعددة الغايات، فيضحي القول مع هذه الخطة عملا مؤثرا ومدركا يمكن وصفه، وتحليله وتأويله، ولأجل تحقيق هذه الغاية قامت نظريات عديدة تبتغي وصل الملفوظ، وضبط آليات عمله، وتفسير قواعد اشتغاله في حدث التخاطب.

ولعل أهم تلك النظريات نظرية الفعل الكلامي (الأعمال اللغوية) في الإطار التداولي العام الذي أرسى دعاماته رواد الفلسفة التحليلية، والباحثون في مجال

السيميائيات واللسانيات الشكلية والوظيفية، أما النظرية الثانية فهي نظرية الحجاج في بعدها البلاغي العام، وما تطمح إليه من تحليل للأقوال الحجاجية والإقناعية، ولما كانت عرى التواصل قد قامت منذ زمن بعيد بين القول والفعل والتعبير والإقناع فقد اختارت الدراسة التي بين أيدينا أن تتمركز في نقطة تقاطع هذه المكونات، متخذة من الإجراء أداة برهانية على تكامل هذه الأنظار، وتفاعلها لفهم أكثر متانة للنصوص والخطابات المختلفة، لذا وسم الباحث الدراسة بـ: **"الخطاب والنظرية والإجراء"**، وقد أقام بنيانها على مدخل وخمسة مفاصل، يعنى أولها بتعريف الخطاب والعلم الدائر حوله، والتأصيل لنشأته، وأهم رؤاه ورواده.

بينما يشكل المفصل الثاني النظرية التداولية بتوجهاتها المختلفة، أما المفصل الثالث فقد تربع على مساحة نصية معتبرة من الدراسة، تناولنا فيه بالبسط والتحليل مظاهر النظرية الحجاجية، من نشأتها إلى أيامنا هذه، وأما المفاصل الثلاثة اللاحقة فقد جردت للمثال، طبق في أولها على **المقامة البشرية للهمذاني**، وفي ثانيها على نصوص إعلامية للكاتبة **السعودية رقية الهويريني** في صحيفة الجزيرة اليومية، وفي ثالثها على نصوص حضارية وتاريخية للمؤرخ **الجزائري أحمد توفيق المدني**، ثم ذيلت الدراسة بخاتمة جامعة لأهم النتائج.

هذا وتسعى الدراسة في بعد من أبعادها، إلى استحصال أهم الرؤى النظرية التي تعلق بها الباحث من خلال سنوات عديدة في القراءة والتجريب والتدريس لأمهات الكتب في اللسانيات والتداوليات وتحليل الخطاب والحجاج، وتقديمها في بنية كلية جامعة لا تستهدف خاصة الباحثين بقدر استهدافها للباحث المستجد في الجامعة، تعرفه بأصول العلم، ومنطلقاته وأهدافه، وآفاق البحث فيه، وأما بعدها الثاني فهو

التجريب، من خلال امتحان صدقية أهم المقولات النظرية على محك التطبيق، وتفعيل ذلك بقراءات تمهيدية لنصوص مختلفة زمانا ومكان ونسقا.

لقد اضطلعت هذه المقاربة بتحليل أنساق لسانية مختلفة بمنهج وصفي تحليلي، يقوم على استقطار المعنى من النسق، وتغريض المدلول الظاهر، بإعطائه تأويلا مناسبا من جهة العمل المنجز، لذلك اكتفى المشروع التمهيدي بنصوص ثلاث هي: **المقامة البشرية** ممثلة للخطاب السردي القديم، والخطاب الإعلامي عند **رقية الهويريني** من خلال نصوص مختارة، والخطاب الحضاري في نصوص مختارة من آثار **أحمد توفيق المدني** المؤرخ الجزائري.

وتدعوني أسئلة ضمنية عديدة قد تخطر على ذهن القارئ إلى الإجابة عنها افتراضا بأن هذا المشروع يتنزل في سياق تحليلي شامل عرضت في بعض محطاته السابقة زمانا ومكانا إلى تحليل الخطاب الشعري القديم والحديث، وتحليل الرواية والقصة القصيرة وتحليل الخطاب الإشهاري والكاريكاتوري وأنواع أخرى، وكان علينا أن نمضي قدما في توسيع مجال التحليل لاستكمال هذا المشروع، غير إن الظروف حالت دون تمام ذلك، وهي ظروف تعيق أغلب الباحثين عن أداء مهام البحث، مع المواصلة في جهود التدريس الجامعي، وأعبائه الثانوية.

لا يفوت الباحث أن يشير في هذا السياق إلى أهم المراجع التي اعتمدها بشكل رئيس بخاصة في بناء صرح التصور النظري، فالبحث مدين إلى كتاب **"الحجاج، مفهومه ومجالاته"** لمجموعة من الباحثين، بتنسيق وجمع حافيظ علوي، وكتاب **"أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"** بإشراف حمادي صمود، ودراسة **"الحجاج بين المنوال والمثال"** لعلي الشبعان و **"أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية"** لمحمد الشاوش، و**الحجاج في اللغة** لأبي بكر العزاوي ودراسة

الحجاج والاستدلال الحجاجي لحبيب أعراب و**الحجاج في البلاغة المعاصرة** لمحمد الأمين الطلبة وكتاب **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام** لطه عبد الرحمن، وغيرها من الدراسات العربية السباقة في هذا المجال.

لقد حرص البحث على التنويه بها في السياقات المناسبة، كما انتفع البحث بمصادر تأسيسية للمفاهيم باللغة الأجنبية (الفرنسية)، والتي تعد في الحقيقة مفاتيح أساسة للبحث في النظريات اللسانية والتداولية والحجاجية، مثل **المعجم الموسوعي للتداولية** لجاك موشلار وآن روبول، و**الحجاج في التواصل** لبروتون وغيرها، وقد أثبت البحث أغلبها في قائمة المصادر والمراجع.

هذا ويأمل الباحث أن يجد القارئ العربي في هذا المصنف بغيته لفهم أهم الرؤى النظرية في حقل تحليل الخطاب، في سياق تبسيط المفاهيم، وعرضها في كتابة تمهيدية عامة.

وبالله التوفيق

كلمة الكتاب

"لقد درست اللغة في ذاتها بكثير من العمق، وهي اليوم
ينبغي أن تدرس من أجل حقيقة أخرى هي حقيقتنا
نحن كأشخاص نتكلم"

ج.أوستين